PDF-XCHANGE Click to buy NOW! www.docu-track.com

بسم الله الرحمن الرحيم

سئل أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحمد بن ناصر ، رحمهم الله تعالى ، عن الشرك بالله ، ما هو الأكبر الذي ذُم فاعله ، ومالُـــه حلال لأهل الإسلام ، ولا يُـــغفر لمن مات عليه ، وما هو الأصغر ؟ فأجابوا :

قد ذكر العلماء رحمهم الله أن الشرك نوعان ؛ أكبر وأصغر ، فالأكبر أن يجعل لله نداً من خلقِه ، يدعوه كما يدعو الله ، ويخافه كما يخاف الله ، ويرجوه كما يرجو الله ، ويتوكل عليه في الأمور كما يتوكل على الله .

والحاصل أن من سوَّى بين الله وبين خلقه في عبادته ومعاملته فقد أشرك بالله الشرك الأكبر الذي لا يغفره ، كما دل على ذلك قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله] إلى قوله [وما هم بخارجين من النار)[1] ، وقال تعالى عن أهل النار (تالله إن كنا لفي ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين)[2] ، قال بعض المفسرين : والله ما ساووهم بالله في الخلق والرزق والتدبير ، ولكن ساووهم في المحبة والإجلال والتعظيم .

وقال تعالى (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون)[3] ، أي يعدلون به في العبادة .

ولهذا اتفق العلماء كلهم على أن من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم ؛ فقد كفر ، لأن هذا كُـــفر عابدي الأصنام ، قائلين (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) ، ثم شهد عليهم بالكذب والكفر فقال (إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار)[4] فهذا حال من اتخذ من دون الله أولياء يزعم أنهم يقربونه إلى الله .

---

[1] البقرة : 165 - 167

[2] الشعراء : 97 - 98

[3] الأنعام : 1

[4] الزمر : 3

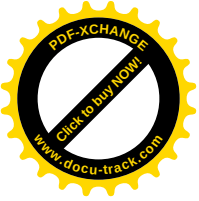
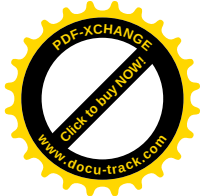

وقال (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله)[1] ، وقد أنكره[2] الله في كتابه وأبطله ، وأخبر أن الشفاعة كلها له ، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا لمن أذن له أن يشفع فيه ، ورضي قوله وعمله ، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء ، فإنه سبحانه يأذن في الشفاعة لهم حيث لم يتخذوا من دون الله شفيعاً ، فيكون أسعد الناس بشفاعة الشفعاء صاحب التوحيد الذي حقق قول « لا إلَه إلاّ الله » .

والشفاعة التي أثبتها الله ورسوله هي الشفاعة الصادرة عمن أذِن له لمن وحَّـــده ، والشفاعة التي نفاها الله ؛ الشركية التي يظنها المشركون ، فيعامَلون بنقيض قصدهم ، ويفوز بها الموحدون ، فتأمل قوله r لأبي هريرة وقد سأله : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟

قال : من قال « لا إلَه إلاّ الله » خالصاً من قلبه .[3]

فجعل أعظم الأسباب التي ينال بها الشفاعة تجريد التوحيد ، عكس ما اعتقد المشركون ؛ أن الشفاعة تُنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله ، فقلب النبي r زعمهم الكاذب ، وأخبر أن سبب الشفاعة **تجريد التوحيد** ، فحينئذ يأذن الله للـــشافع أن يشفع فيه .

ومِن جَهْـــل المشرك اعتقاده إن اتخذ من دون الله شفيعاً أن يشفع له وينفعه ، كما يكون عند خواص الملوك والولاة ، ولم يعلموا أن الله لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله وعمله ، كما قال تعالى في **الفصل الثاني**[4] (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى)[5].

---

[1] يونس : 18

[2] أي اتخاذ أولياء ووسائط بحجة أنهم يقربون ويشفعون إلى الله .

[3] رواه البخاري (99) عن أبي هريرة رضي الله عنه ، ولفظه : خالصا من قلبه ، أو نفسه .
ورواه أحمد (373/2) ولفظه : خالصة من قبل نفسه .

[4] الفصل الأول هو تجريد التوحيد ، ولعله يقصد بالفصل الشرط .

[5] الأنبياء : 28

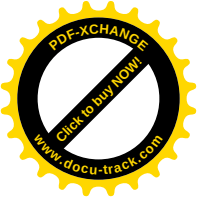
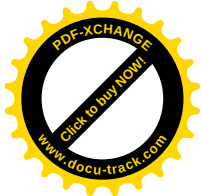

وبقي **فصل ثالث** ، وهو أنه ما يرضى من القول والعمل إلا التوحيد واتباع الرسول ، وعن هاتين الكلمتين يُسأل الأولون والآخرون ، كما قال أبو العالية : كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون ؛ ماذا كنتم تعبدون ، وماذا أجبتم المرسلين ؟

فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها ، **فالأول** : أنه لا شفاعة إلا بإذنه ، **والثاني** : أنه لا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله ، **والثالث** : أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده واتباع رسوله .

{وقد قطع الله تعالى كل الأسباب التي يتعلق بها المشركون قطعاً جميعا ، قطعا يَعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله ولياً أو شفيعاً فهو [كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت][1] ، فقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير . ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)[2]، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يعتقد أنه يحصل له به من النفع ، والنفع لا يكون إلا لمن فيه خصلة من هذه الأربع :

إما مالِـــك لِما يريده عابده منه ،

فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك ،

فإن لم يكن شريكاً له كان معيناً له وظهيراً ،

فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده .

فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مترتباً ، منتقلاً من الأعلى إلى ما دونه ، فنفى الملك والشرك والمظاهرة والشفاعة التي يظنها المشرك ، وأثبت شفاعةً لا نصيـــب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه ، فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً ونجاةً وتجريداً للتوحيد ، وقطعاً لأصول الشرك وموادِّه لمن عقلها .

والقرآن ممـــلوءٌ من أمثالها ونظائرها ، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته ، وتضمنه له ، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل و لم يُعقبوا وارثاً ، وهذا هو

---

[1] العنكبوت : 41

[2] سبأ : 22 – 23 .

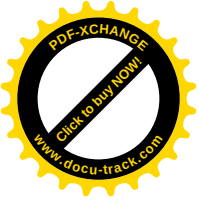
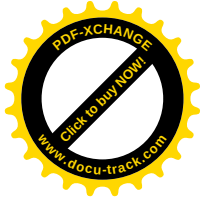

الذي يحُول بين القلب وبين فهم القرآن ، ولَعمر الله إن كان أولئك قد خلوا ؛ فقد ورِثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم ، وتناوُل القرآن لهم كتناوُله لأولئك .

ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشـــأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية) ، وهذا لأنه إذا لم يعرف الجاهلية والشرك ، وما عابه القرآن وذمه ، وقع فيه وأقرَّه ، ودعا إليه وصوبه وحسَّنه ، وهو لا يعرف أنه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره أو شر منه أو دونه ، فينقض بذلك عرى الإسلام عن قلبه ، ويعود المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والبدعة سنة ، والســـنة بدعة ، ويـــُكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد ، ويُـــبَدع بتجريد متابعة الرسول r ، ومفارقة الأهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانـــاً ، والله المستعان .}[1]

والكلام في هذه المسألة يحتاج إلى بسط طويل ليس هذا محله ، وإنما نبهناك على ذلك تنبيهاً يعرِف به كل من نور الله قلبه حقيقة الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، وحرَّم الجنة على فاعله .

ولكن من أعظم أنواعه وأكثره وقوعاً في هذه الأزمان **طلب الحوائج من الموتى ، والاستغاثة بهم ، والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم** ، كما ذكره المفسرون عند قوله تعالى حكاية عن قوم نوح [وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا][2] : (إن هذه أسماء رجال صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم)[3] ، كما ذكر البخاري في « صحيحه » في تفسير سورة نوح ، وكما ذكر غيره من أهل العلم ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وأما الشرك الأصغر فكيسير الريـــاء ، والحلف بغير الله ، كما ذُكر عن النبي r أنه قال : من حلف بغير الله فقد أشرك .[4]

---

[1] نقله رحمه الله من « مدارج السالكين » (1/600- 601) ، ط دار طيبة ، منزلة التوبة .

[2] نوح : 23

[3] انظر صحيح البخاري (4920) ، و تفسير ابن جرير ، سورة نوح : 24 .

[4] رواه أبو داود (3251) وابن حبان (4358) وأحمد (2/69) ، وأبو عوانة (5967) (ط دار المعرفة) .

PDF-XCHANGE Click to buy NOW! www.docu-track.com

ومن ذلك قول الرجل : ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، ومالي إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولولا أنت لم يكن كذا وكذا .

وقد ثبت عن النبي r أنه قال له رجل : ما شاء الله وشئت ، فقال :

أجعلتني لله ندا ؟ قل : ما شاء الله وحده .[1]

ورواه الترمذي (1535) ، بلفظ :من حلف بغير الله فقد كفر - أو أشرك - . (شك الراوي) .

واللفظ الأول هو المعتمد لكثرة رواته ، قاله الشيخ محمد علي آدم الأثيوبي حفظه الله .

والحديث صححه الألباني رحمه الله .

[1] رواه البخاري في « الأدب المفرد » (783) عن ابن عباس رضي الله عنه .

ورواه النسائي في «الكبرى » (10759) بلفظ : أجعلتني لله عدلا .

ورواه البيهقي (217/3) وأحمد (214/1) بلفظ : أجعلتني والله عدلا ؟ بل ما شاء الله وحده .

وهو حديث حسن كما قال الشيخ شعيب في تحقيقه لـــ « المسند » .

وانظر « السلسلة الصحيحة » (139) .

وروى النســـائي في « الكبرى » (10758) عن جابر رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي r فكلمه فقال : ما شاء الله ، (يعني : وشئت) .

فقال : ويلك ، أجعلتني والله عدلا ؟ قل : ما شاء الله وحده .

وروى الطيالسي (431) عن حذيفة قال : قال رسول الله r : لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده .

ورواه النســـائي في « الكبرى » (10755) ، وأبو داود (4980) ، والبيهقي في « الكبرى » (216/3) ، وأحمد في « مسنده » (384/5) بلفظ : قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان .

وصححه الألباني كما في « السلسلة الصحيحة » (137) .

وروى أحمد في « مسنده » (72/5) عن طفيل بن سخبرة أخي عائشة لأمها أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مر برهط من اليهود فقال : من أنتم ؟

قالوا : نحن اليهود .

قال : إنكم أنتم القوم لولا أنكم تزعمون إن عزيرا ابن الله .

فقالت اليهود : وأنتم القوم لولا أنكم تقولون : (ما شاء الله وشاء محمد) .

ثم مر برهط من النصارى فقال : من أنتم ؟

قالوا : نحن النصارى .

فقال : إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون : (المسيح ابن الله) .

قالوا : وإنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون : (ما شاء الله وما شاء محمد) .

فلما أصبح أخبر بها من أخبر ، ثم أتى النبي r فأخبره فقال : هل أخبرت بها أحدا ؟

قال عفان : قال : نعم .

PDF-XCHANGE Click to buy NOW! www.docu-track.com

وهذه اللفظة أخف من غيرها من الألفاظ ، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده ، وهذا الذي ذكرنا متفق عليه بين العلماء – رحمهم الله تعالى – أنه من الشرك الأصغر ، كما أن الذي قبله متفق عليه أنه من الشرك الأكبر .

واعلم أن التوبة مقبولة منهما[1] ومن سائر الذنوب قطعا إذا صحت التوبة واستُـــكملت شروطها ، لكن ابن عباس رضي الله عنهما ومن تبِـــعه قال : (لا تقبل توبة القاتل) ، وقد ناظر ابن عباس أصحابه ، وخالفه جمهور العلماء في ذلك ، وقالوا : التوبة تأتي على كل ذنب ، فكل ذنب يمكن التوبة منه وتقبل ، واحتجوا بقوله تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه

فلما صلوا خطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن طفيلا رأى رؤيا فأخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم كنتم تقولون كلمة كان يمنعني الحياء منكم إن أنهاكم عنها ، قال : لا تقولوا : ما شاء الله وما شاء محمد .

وصححه الألباني كما في « السلسلة الصحيحة » (138) .

ورواه عبد الرزاق (19813) في مصنفه ، وابن حبان كما في « موارد الظمآن » (1998) .

وروى البيهقي في « الكبرى » (216/3) والنسائي في « المجتبى » (3782) - واللفظ للبيهقي - عن قتيلة بنت صيـــفي الجهني قالت : جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله r فقال : يا محمد ، نعم القوم أنتم لولا أنتم تشرِّكون .

قال : سبحان الله ! وما ذلكم ؟

قال : تقولون إذا حلفتم : بالكعبة .

فأمهل النبي r ثم قال : من حلف فليحلف برب الكعبة .

ثم قال : نعم القوم أنتم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء فلان .

فأمهل رسول الله r ثم قال : من قال (ما شاء الله) فليجعل بينهما : ثم شئت .

وصححه الألباني في « الصحيحة » (136) .

قال الشيخ شعيب الأرناؤوط وفقه الله : ويقاس على هذا كل لفظ يوهم التسوية بين الخالق وبين المخلوق ، مثل قول العامة وأشباههم : توكلنا على الله وعليك ، وما لي غير الله وغيرك ، وباسم الله والشعب ، مما ينبغي تجنبه والانتهاء عنه والتوبة منه ، أدبا مع الله سبحانه .

حاشيته على « مسند أحمد » (300/38) .

[1] أي من الشرك الأكبر والأصغر .

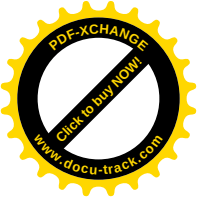
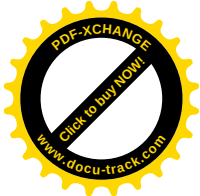

هو الغفور الرحيم)[1] ، وبقوله تعالى (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى)[2] ، فإذا تاب هذا القاتل وآمن وعمل صالحاً فإن الله عز وجل غفار له .

انتهى كلامهم رحمهم الله في الجواب عن السؤال المذكور .

« الدرر السنية من الأجوبة النجدية » (2/195 – 200)

هذا الرسالة منشورة في : www.saaid.net/kutob

[1] الزمر : 53

[2] طه : 82